خُطْبَةَ جُمُعَة مفرغةٍ

بِعِنْوَانِ

سبل الهدى في كف الأذى

لفضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

مسجد إبراهيم شحوح سيئون

٦ جمادى الآخرة ١٤٤٤ هجرية

فرغها أبو عبد الله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد: أيها الناس حذرنا الله عز وجل من التشبه بمن آذى موسى عليه الصلاة والسلام ، قال الله عز وجل:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا (69)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70)} الآيات..

فأمر الله عز وجل بملازمة القول السديد، وحذر من القول الذي فيه أذى للصالحين للمؤمنين للأنبياء والمرسلين لرب العالمين، كل ذلك حذرنا الله عز وجل منه، وسبب نزول هذه الآية ما دل عليه ما في الصحيحين أن موسى عليه الصلاة والسلام كان رجلا حييا يحب الستر، وكان بني إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا ما يفعل ذلك إلا أنه آدر، أي به عيب، فنزل يوما يغتسل ووضع ثوبه على حجر وفر الحجر بثوبه، وتبعه موسى عليه الصلاة والسلام يضربه، لأن هذا الفرار لا يكون إلا عن شيء، يعني بما أنه قد سار ومضى اس‌تحق الخطاب، يضربه يخاطبه ثوبي بحجر ثوبي حجر، أي دع ثوبي يا حجر، ويضربه بالعصا ولا يزال الحجر فارا

بثوب موسى حتى استقر على ملأ بني إسرائيل، نظروا إليه وليس به عيب، قالوا : والله ما به بأس، قال أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث : والله إنه لندب بالحجر سبعا أو كذا يعني عدة ضربات ضربا بالحجر، ما زالت تلك باقية في الحجر، آية من آيات الله جعلها الله عز وجل باقية، أثرت ضربات موسى في الحجر كما جعلها مؤثرة بتقدير الله عز وجل في البحر، فأنزل الله عز وجل:{ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى} أي كبني إسرائيل الذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها، وقد اشتكى من أذيتهم إلى

ربه، بل عاتبهم بشدة أذيتهم له :{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5)}[الصف:5].

اشتد أذاهم لموسى عليه الصلاة والسلام وهو يعاتبهم ويخاطبهم لم تؤمنني؟ أي بأي حق، وأنتم تعلمون أني رسول الله إليكم ، وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، علم الله عز وجل زيغهم فازدادوا زيغا، وهكذا اشتكى عليه قومه من أذاه وهو أذى له فذهب ملأ بني إسرائيل الوشاة المحرشون إلى فرعون { أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127)}[الاعراف:127].

فهذا أذى شديد وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم، قتل الأبناء وابقاء النساء، سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون، فما كان من موسى إلا أن يصبر قومه،{قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ}

اشتد علينا الأذى، أبناءنا يقتلون، ونستضعف، {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)}[القصص:4].

فاشتكوا عليه ولا شك أن هذا ألم له ولهم، أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، ولكن يصبرهم استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، وفي نهاية المطاف أغرق الله فرعون وأغرق قومه والعاقبة للمتقين، وحتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتأسى بموسى إذا أوذي، ففي الصحيحين من حديث عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: لما كان يوم حُنين آثر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ناسًا في القِسْمَة، فأعطى الأقْرَع بن حَابِس مئة من الإبل، وأعطى عُيينة بن حِصن مثل ذلك، وأعطى نَاسًا من أشراف العَرب وآثرَهُم يومئذ في القِسْمَة، وأكرمهم تألفهم، كان يتألف الراغبين في الدنيا على الدين من أجل الدين، ربما أعطى رجلا غنما بين جبلين فيذهب ذلك الرجل يقول يا قوم أسلموا محمد يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فما هي إلا برهة ويصبح الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم إني أعطي أناسا أتألفهم، أعطى هؤلاء يتألفهم على الإسلام ليقوى إيمانهم، فانبرى رجل من الخوارج قال والله هذه قسمة ما عدل فيها، ولا أريد بها وجه الله، وفي رواية أخرى اعدل يا محمد بهذه الجرأة، والله إن هذه قسمة ما عدل فيها ولا أريد فيها وجه الله، ذهب ابن مسعود قال والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره قال: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان كالصّرفِ، أي كالصبغ الأحمر، ثم قال: يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من ذلك فصبر، وهذا من النبي صلى الله عليه وسلم أخذا بقول الله عز وجل: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[الأنعام:90].

وبقوله سبحانه وتعالى:{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}[لقمان:15].

وهكذا ذكره الله عز وجل بما حصل لموسى ولغيره من الأنبياء من الأذى تسلية له وتقوية له على ذلك ،{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (32)قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ}[الأنعام:32،33]

الذي يقول المشركون وأهل الكتاب{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ} أي في واقع الأمر أنك على الحق وهم يعترفون بما أنت عليه ولكن جحود {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33)وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34)}

انظر إلى هذه الآية يسلي فيه نبيه، وكذلك أيضا يثبت فيها نبيه،{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا } صبروا أذى، التكذيب للصادقين أشد الأذى، وأذوا أيضا مزيدا على التكذيب ربما بالقتل ،والتهجير، والتشريد، وغير ذلك مما أوذوا به، {وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ} فصبروا على ذلك كله،{وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34)} صبروا على ما كذبوا وصبروا على الأذى، هكذا أمرهم الله سبحانه وتعالى، {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)} [البقرة:87] ولكن مواجهة أنبياء الله لقومهم بالصبر على الأذى، ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وفي لفظ:" عودي أوذي، وهذا واقع كل من جاء بالحق يناله من العداء ومن الأذى من أعداء الله ومن المجرمين، {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (31)}[الفرقان:31].

سنة الله في خلقه، وكفى بربك هاديا ونصيرا، قال الله :{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111)[الأنعام:111].

قال الله:{وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (20)}[الفرقان:20]

فهذه سنة الله في المرسلين صبرهم، وفي المجرمين وأذائهم وإيذائهم، ولكن هذا العاقبة مع مردها إلى أهل تقوى الله سبحانه وتعالى.

أيها الناس: إن أمر الأذى لا شك أنه نائل كل صالح، الله عز وجل أخبر به في كتابه:{الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)}[العنكبوت:1،3].

وبعد تلك الآيات قال:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ }الآية...

والشاهد أن هذا فقه غير صحيح ضعيف هذا شأن المنافقين، يقول آمنا بالله فإذا حصل تمحيص فحصل له أذى بسقم بمرض بابتلاء بنقولات كاذبة عنه انشايات بسوء ظنون بغير ذلك أثر فيه ذلك إلى أن يجعل مقالات الناس وأذى الناس كعذاب الله، وربما تزحزح عن الخير بسبب ذلك، فلا يجوز هذا، وهذا كقول الله عز وجل :{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ} جانب من الدين{فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)}[الحج:11].

إنما طريقة المرسلين الصبر، قال الله سبحانه وتعالى أنهم أخبروا قومهم قال{ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (10)قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا}[إبراهيم:10،12].

هكذا هدي الأنبياء الصبر، لا يسبب لهم ذلك الأذى زحزحة عن الحق، ولكن الصبر وانتظار فرج الله سبحانه وتعالى، وانتظار عقبة المتقين، {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12)}

وجاء التهديد الأكبر:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا} أذى،{ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ}

إما أن تكونوا معنا على هذا الدين والملة التي نحن عليها وإلا هجّرناكم، وإلا أخرجناكم من دياركم، أخرجناكم من البلاد { لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14)}

أي لا تصدقوهم ما هم مستطيعين لذلك، لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم، أي الأرض ما هي لهم هي لله، هذه سنة المجرمين في أولياء الله والمرسلين تهجير والإخراج من الأرض، وهكذا من قبل ومن بعد، ولذلك نظائر كثيرة في كتاب الله، هذا كله من صبر أنبياء الله ورسل الله على ما حصل لهم من الأذى، وإن المسلم ليتأسى كما تأسى رسوله عليه الصلاة والسلام، كما تأسى رسول الله يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من ذلك فصبر، أوذي بأكثر من ذلك فصبر: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ} أهل الكتاب اليهود والنصارى {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ} فالله قد أخبر أنه ما هو قليل، أنك أيها المؤمن السائر هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتيك أذى كثير، هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولسائر المؤمنين إلى قيام الساعة، أنه لا بد أن يسمع ويجد أذى كثيرا،{وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)}[آل عمران:186].

فالله عز وجل أخبر أنه الأذى سيحصل ولكن إن صبر الإنسان ولازم تقوى الله ففي ذلك مخرج وهو قوة وهو عزم، هذا هو عزم الأمور، لا يستمال بدنيا ولا بشهوة ولا بشبهة، فعزم الأمور وقوة الأمور وثبات الأمور الصبر على طاعة الله، يؤذي من آذى يمني من منّ، يتوعد من توعد الصبر على طاعة الله، هذا أمر الله سبحانه وتعالى به، أمر الله فإن هذا هو طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا شك أنه لا

محيدة ولا مفرة ولا محيص من هذا السبيل الذي أخبر الله سبحانه وتعالى به، هذا حال حياة الدنيا،{ لقد خلقنا الإنسان في كبد} أهل نفسك وطن نفسك وطد نفسك على أنك تصبر حتى تلقى الله عز وجل، وفي هذا الحال أنك تعتبر مجاهدا في طاعة الله، صابرا على ذلك، فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللهُ عنْه.

فأنت ما دمت محافظا على دينك هاجرا كل ما نهى الله عنه على أي حال كنت من عرض أو مرض أو سراء أو ضراء هذا لا شك أنه هجرة إلى الله سبحانه وتعالى،{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)}[العنكبوت:69]

الخطبة الثانية :

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهداة، أما بعد أيها الناس: لئن كان الأذى على هذا الحال ولم يسلم منه أنبياء الله ورسله فإنه أيضا ما سلم من أذية الكفار والمشركين رب العالمين، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ومع ذلك يغضبون الله عز وجل، حتى أنه ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا أحد أصبر على أذى من الله.

وفي لفظ " لا شيء أصبر على أذى من الله. إنّه يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ له الوَلَدُ، ثُمّ هو يُعافيهم ويَرْزُقُهُمْ.

ففي ادعاء الولد لله ونسبة الشريك له وإضافة الولد إلى رب العالمين أذية لرب العالمين،{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ}

قال الله:{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)}[الإخلاص:1،4].

يدعون لله سبحانه وتعالى الولد،{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (30)}[التوبة:30].

قال الله:{يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32)}[التوبة32]

ادعاء الولد لله{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (74) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (75)}

[المائدة73،75]

هذه أذية ما سلم منها رب العالمين من هذا القول،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70)}

فيا عبد الله احفظ لسانك من الأذية، بل من أذية الناس إضافة النعم والنقم إلى الدهر، فكان في الجاهلية إذا حصل لها آلام أو أسقام أو شيء من الأضرار إضافتها إلى الدهر، وهذا إضافة الخروقات والأقدار والأوراق والأشياء إلى خلق من خلق الله وسلب نعمة الله، لهذا ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي الله عليه وسلم قال:"إنّ اللّهَ يقولُ يُؤذِيني ابنُ آدَمَ يسُبُّ الدّهرَ وأنا الدّهرُ بيدي الأمرُ أُقلِّبُ اللّيلَ والنّهارَ.

فهم يضيفون إلى الدهر أن هذا الدهر سوء وأنه قد أصابنا هذا الدهر بالجذب، أصابنا هذا الدهر، وهذا لا شك أنه إضافة خلق الله إلى غير الله، هذه الطريقة كفر طريقة الجاهلية فهو إضافة يعني النعم إلى غير الله سبحانه وتعالى وخلق الله إلى غير الله، هذا نوع من سب الدهر إيذاء لله، أقلب الليل والنهار، وإنك لتقرأ في كتاب الله :{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57)}[الأحزاب:57].

فهذا دليل أنه يحصل من الأذى لرب العالمين، بإيذاء رسوله عليه وسلم وعباده المؤمنين،{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (58)}فالأذى وإن كان حاصلا في الواقع هذه دنيا الأذى هذا حالها، لكن أنت أيها المسلم واجب عليك أن تتجافى وتتحاشى وتتجنب وتبعد كل البعد عن إيذاء رب العالمين، وأنبيائه والمرسلين، وعباده المؤمنين، ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل :"من عادى لي وليًا وفي لفظ آذى ، فقدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تقرّبَ إليّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبّ إليّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما

يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرّبُ إليّ بالنّوافِلِ حتّى أُحِبّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَألَنِي لأُعْطِيَنّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لأُعِيذَنّهُ.

هذا إنسان سدده الله وجوارحه، ألهمه الله رشده، بأي حق تؤذيه، ومن هنا فإن عداء وإذى المؤمنين محاربة لرب العالمين، إيذاء لله، والذين يؤذون المؤمنين بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا، ولهذا يحاربه الله يؤاذنه أي يعلمه ويخبره بأنه محاربه، يا مسلم هل لك قوة يا عبد الله على حرب رب العالمين، اتق الله كف، كف الأذى عن الناس، كما أنك تحب أن يكف عنك الأذى، فكانوا وحاصل إلا أنه الأذى للمسلمين إجرام، الأذى إجرام بغير حق، بغير ما اكتسبوا، كف الأذى، ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"فمَنْ أحبّ منكم أنْ يُزَحْزَحَ عنِ النارِ ، ويَدْخُلَ الجنةَ ، فلْتَأْتِهِ منيتُهُ وهوَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ ، وليأتِ إلى الناسِ ، الذي يُحِبُّ أنْ يُؤْتى إليه.

اجعل هذا أصل أصيل في روعك كما أنك تحب أن تسلم الناس يحبون أن يسلموا، تحب الأمن الناس يحبون أن يأمنوا، تحب الإستقامة الناس كذلك يحبون الخير لأنفسهم والسلامة لأنفسهم، فأدي إلى الناس الذي تحب أن يؤدى إليك، وقد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجا حيا من هذا الحديث وأمثاله، فجاء رجل كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه يستأذن في الزنا، شاب قال يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فقال الناس مه مه أي تعجبوا هذا سؤال مستغرب، يريد زنا رسمي بفتوى من النبي صلى الله عليه وسلم، مه مه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادنه ادنه أي دعوه، ثم قال ادنه، فدنا للنبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه نموذجا من هذا وليأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، قال أتحبه لأمك؟ قال :لا يا رسول الله فداك أبي وأمي، انظر كيف ذكره إذا أنك ما تحب كما أنك تحب لنفسك الناس كذلك، قال أتحبه لابنتك؟ قال: لا يا رسول الله فداك أبي وأمي، أتحبه

لاختك؟ قال: لا يا رسول الله فداك أبي وأمي، وهكذا لعمتك لخالتك وهو يقول: لا يا رسول الله فداك أبي وأمي، فيذكره أنك كما أنك لا تحب الشر لك والأذى لك والفساد في أهلك الناس كذلك، الناس في غفلة عن تدبر مثل هذا، في غفلة، ولهذا لو تدبروا مثل ذلك لحصل الكثير من كف الأذى عن بعضهم البعض، ولعاشوا في نعمة، كف الأذى عن الناس فإن هذا يعتبر صدقة من نفسك عليك على نفسك، ففي الصحيحين عن جندب بن جنادة رضي الله عنه أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم لما سأل:"أيُّ العملِ أفضَلُ ؟ قال: (إيمانٌ باللَّهِ وجهادٌ في سبيلِه قال: قُلتُ: فأيُّ الرِّقابِ أفضَلُ ؟ قال: أنفسُها عندَ أهلِها وأغلاها ثمنًا قال: فإنْ لم أفعَلْ ؟ قال: تُعينُ صانعًا أو تصنَعُ لأخرَقَ قُلتُ: فإنْ ضعُفْتُ عن ذلك ؟ قال: فدَعِ الشّرّ فإنّها صدقةٌ تصَدّقُ بها على نفسِكَ.

تصدق على نفسك فإن الأذى كما كفه عن الناس منك صدقة عن نفسك، بل لو آذيت مسلما تحسن إليه فإنك قد أبطلت حسنتك وصدقتك، قال الله عز وجل:{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262)قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263)}[البقرة:262،263].

لأنها الآن تصير هدر مالك يذهب بغير فائدة، تبطله بالأذى،ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم،

قال الله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ}

أنا أعطيتك، أنا أكرمتك، أنا أنا إلى آخره، تستذله وتستضعفه،بطال، {لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ} انظر كيف مثل ما ينفقه {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ } حجر أملس{عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)}

ولا شيء يقدر عليه، ما يبقى معه شيء، أين ذهبت تلك الأعمال والصدقات؟ صارت هباء منثورا بسبب الأذى، كفى الأذى عن الناس، حتى عن النظر إلى محارمهم، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:"إِيّاكُمْ وَالجُلُوسَ علَى الطُّرُقَاتِ. أي أن هذا يتأذون منه،

فَقالوا: ما لَنَا بُدٌ، إنّما هي مَجَالِسُنَا نتَحَدّثُ فِيهَا، قالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلّا المَجَالِسَ، فأعْطُوا الطّرِيقَ حَقّهَا، قالوا: وَما حَقّ الطّرِيقِ؟ قالَ: غَضّ البَصَرِ، وَكفّ الأذَى، وَرَدّ السّلَامِ، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكرِ.

كل مدار هذا الحديث على كف الأذى، فإن كف الأذى عن الناس أمر واجب، ما قامت المحاكم إلا من أجل أن تكف الأذى المحاكم العادلة، ما شرع القصاص إلا من أجل هذا حتى يكف الناس أذاهم عن الناس، ولكم في القصاص حياة، وهكذا سائر الحدود لكف الأذى والزجر عن العدوان والمظالم والبغي، والاعتداء على المسلمين بغير حق، هكذا سنة الله في خلقه، فإن كف الأذى أجور عظيمة لمن سعى فيه، أمر معروف وكف أذى، "مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللّهِ والواقِعِ فيها، كمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فَكانَ الّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا. فقه ضعيف يريدون يكفون الأذى لكن بأشد الأذى وبأشد الهلكة لعدم البصيرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فلو تركوهما وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا.

فما شرع الله الأمر بالمعروف بالمعروف أي بالمعروف، والنهي عن المنكر بلا منكر إلا من أجل أن يكف الأذى عن الناس والأضرار عن الناس والآلام عن الناس، قال عليه الصلاة والسلام :" لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة أو قال غصن قطعه عن طريق الناس كان يؤذي المسلمين، أو الناس، غصن نحاه عن طريق الناس يؤذيهم وإذا به يتقلب في الجنة بسبب هذا يجره ذلك إلى أعمال صالحة وتوحيد

ويكون سبب في هداية وتوفيقه إلى أن يدخل الجنة، يتقلب في الجنة بسبب ذلك، وفي مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إنّه خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِن بَنِي آدَمَ علَى سِتِّينَ وثَلاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فمَن كبّرَ اللهَ، وحَمِدَ اللهَ، وهَلّلَ اللهَ، وسَبّحَ اللهَ، واسْتَغْفَرَ اللهَ، وعَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النّاسِ، أوْ شَوْكَةً، أوْ عَظْمًا عن طَرِيقِ النّاسِ، وأمَرَ بمَعروفٍ، أوْ نَهَى عن مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلكَ السِّتِّينَ والثّلاثِ مِائَةِ السُّلامَى -فإنّه يَمْشِي يَومَئذٍ وقدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النّارِ.

أي بسبب إماطة تلك المؤذيات حتى شيء من الزجاج أو الأذى أو الشوك عن طريق الناس، لا تحتقر هذا، هذا من شعب الإيمان، شعبة من شعب الإيمان إزالة الأذى عن الناس ولو في شيء يسير، حتى إزالة رائحة الثوم والبصل من المساجد، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يتأذى المسلم، قال : فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وفي الصحيحين إيمان بضع وستون شعبة أعلاه قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

فالحياة شعبة من الإيمان ،فالإيمان منه شعبة أعلى وشعبة أدنى، ومن أدنى أعمال الإيمان التي هي مما يدخل بها الإنسان الجنة إماطة الأذى عن الناس عن الطريق، إماطة الأذى، هنيئا لمن وفقه الله سبحانه وتعالى لكف الأذى عن الناس فإنه يكتسب الأجور الكثيرة عن عقيدتهم، عن جهلهم، الناس ربما تجد واحدا منهم جاهلا قد تراكمت عليه مؤذيات الجهل فإذا علمته وفقهته وبصرته كففت عنه أذى كثير في الدنيا والآخرة، وهكذا تكف عنه الأذى عن مجورته، ففي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خير أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، الحديث.

من الإيمان بالله ، والإيمان بشرعه ودينه أن تكف الأذى، عن الله، عن رسوله، وشأن المؤمن هو كف الأذى، خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره، وشأن المنافقين هو

الأذى كما قال الله عز وجل :{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ}[التوبة:61].

ما سلم رسول الله ، يعني يؤذونه بالكلام في أهله، من يعذرني في رجل بلغ أذاه في أهلي، في أصحابه وتربيته وتلاميذه ويؤذونه ويسبونه هذا كله أذى لرسول الله عليه وسلم، ومعنى يؤذون النبي أي بالكلام ويقولون هو أذن ما عليكم إن بلغه الكلام منا فإننا سنأتي ونعتذر له ويقبل هو يقبل من كل أحد ما عنده تمييز ومعنى أذن صاغية من حدثه صدقه، يعني هذا طعن في رسول الله أنه ما عنده تمييز بين الصادق والكاذب، هنا أدراك ومع ذلك انظر إلى أذى {يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61)}[التوبة:61].

قال الله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا (69)}[الأحزاب:69].

قال الله:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)}[الأحزاب:71].

أسأل الله جل وعلا أن يدفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وعن بلادنا وسائر بلاد المسلمين، نسأل الله عز وجل أن يمن علينا بالأمن والإيمان ،وأن يمن علينا بطاعته وأن يدفع عنا معصيته، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، والحمد لله رب العالمين.